بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

وبعد ...

فإن النساء شقائق الرجال فى المعتقدات والعبادات والمعاملات وتحمل التبعات فى تربية النشء وصنع الأجيال ، وتعمير الأرض واستمرار الحياة ؛ فهن مطالبات بجميع التكاليف الشرعية مثل الرجال إلا ما كان منها غير ملائم لفطرتهن وطبيعتهن ، ولا طاقة لهن به ، ولا قدرة لهن على فعله أو تركه .

والطاعة على قدر الطاقة ، والتكليف بالمحال محال كما يقول علماء الأصول أخذاً من قوله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ولهن من الحقوق بقدر ما عليهن من الواجبات .

قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨]

وإذا كان الإسلام قد خص الرجال ببعض الحقوق فإنه قد رفع عن النساء فى مقابل ذلك بعض الواجبات تحقيقاً للعدل الذى قامت به السماوات والأرض .

وليس فى الدنيا تشريع أعز المرأة وكرمها ، وعرف لها مكانتها ، وأنصفها من الرجل مثل التشريع الإسلامى ، فقد اعتنى بها فى جميع أطوار حياتها ، ووجهها إلى ما فيه خيرها وصلاحها فى غير ما انتقاص ولا هوان ولا ابتذال ، فما اعتبرها يوماً أنها خلقت للجنس والفراش فحسب ، بل جعلها قسيمة الرجل فى أعباء الحياة كلها ، تحمل عنه ويحمل عنها ، وتشاركه آلامه وآماله، وتكون معه على السراء والضراء، وتكون منه بمنزلة الرأس من الجسد .

فالإسلام دين الفطرة ، والفطرة تقضى أن يكون لكل ذكر أنثاه ، يميل إليها

وتميل إليه ، ويسكن إليها وتسكن إليه ، ويجد عندها وتجد عنده من المتعة والأنس والمودة والرحمة ما لا يجده كل منهما عند غير صاحبه وشريك حياته .

يقول الله عز وجل : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

ويقول جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١]

ويقول عز من قائل : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [النحل: ٧٢] .

ويقول سبحانه :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]

وإذا كانت المرأة بهذه الدرجة التى نوه بها الإسلام فإنه ينبغى على كل مسلمة أن تكون عند حسن الظن بها ، وأن تحافظ على هذه المنزلة التى ارتقت إليها فى ظل هذا التشريع السماوى العظيم ، وذلك بأن تتحلى بالفضائل التى تحلت بها المؤمنات اللاتى أشاد الله بذكرهن فى كتابه العزيز ، كامرأة فرعون آسية بنت مزاحم ، التى آمنت بربها إيماناً تغلغل فى أعماق قلبها وهى تحت رجل متكبر جبار يقول أنا ربكم الأعلى ، وقد حاول بكل ما أوتى من قوة وجبروت أن يصدها عن دينها فلم يستطع أن يزحزح عقيدتها قيد شعرة .

ومريم ابنة عمران التى ضربت أروع الأمثال فى الصفات والطهر والنبل وحسن الخلق وسلامة القلب ، والتبتل إلى الله ، والانقطاع عن سواه .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾ [التحريم: ١١، ١٢]

وأم موسى التى أوحى الله إليها أن ترضع وليدها ، وأن تلقيه فى اليم إذا خافت عليه من فرعون وجنوده فألقته فى اليم امتثالاً لأمر ربها ، وتصديقاً بوعده لها ، وأصبح فؤادها بعد إلقائه خالياً من الهم تماماً بحسن ثقتها فى حفظ الله له ورده إليها .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ [القصص: ٧]

وبلقيس ملكة سبأ التى أوتيت من كل شئ تحتاج إليه ، وكان لها فى قومها عزة ومنعة وسلطان قوى وعرش عظيم - ما إن وصلها كتاب سليمان عليه السلام حتى أقبلت عليه وأسرعت فى إجابته ، وأسلمت معه لله رب العالمين ، وتنازلت عن هذا الملك الدنيوى الزائل لتحظى بالنعيم والملك الكبير فى جنة عرضها السماوات والأرض .

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤]

ولك - أيتها الأخت المسلمة - فى أزواج النبى ﷺ أسوة حسنة ، فقد أحسن الله إليهن ، وزكى نفوسهن وطهرهن جميعاً من الرجس وعادات الجاهلية ، وزهدهن فى الدنيا ورغبهن فى الآخرة ، وأعدّهن إعداداً خاصاً مكنهن من القيام بواجباتهن فى تعليم المؤمنين والمؤمنات أحكام الدين .

اقرئى عنهن وتعرفى على أخلاقهن وعاداتهن ، وتشبهى بهن تحشرى معهن إن شاء الله يوم القيامة ، وتفوزى ببعض ما فزن به فى جنات النعيم .

واعلمى - أيتها الأخت المؤمنة - أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والقيام بواجباتك الدينية والدنيوية هو العلم بما جاء فى الكتاب والسنة من الأوامر والنواهى والتوجيهات ، فلا خير فى عمل بلا علم ؛ إذ كيف يؤمن الإنسان بربه وهو لا يعرف ما لا يليق بذاته وما يليق بذاته من أوصاف الكمال والتنزيه ، ولا يعرف أركان الإيمان ولا شروط صحته ولو على سبيل الإجمال؛ وما يقال فى الإيمان يقال فى جميع العبادات والمعاملات .

من هنا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وهو أهم حق من حقوق المرأة التي ينبغي أن تلح في طلبه ، وأن يتعاون رجال العلم والحكم على توفيره لها في جميع المساجد والمعاهد والجامعات والمكتبات وأجهزة الإعلام المختلفة .

وأن تكرس الجهود في المدن والقرى لمحو الأمية ورفع غشاوة الجهل الذى خيم طويلاً على كثير من النساء اللاتي حرمن من حقهن في طلب العلم ردحاً طويلاً من الزمن في غفلة من الدعاة والمصلحين وأولياء الأمور .

وإني أحمد الله – تبارك وتعالى – أن وفقني لنشر العلم بين أوساط النساء كما وفقني لنشره بين أوساط الرجال ، فقد كنت ولازلت التقي بهم وبهن في المساجد وقاعات المحاضرات هنا وهناك ، وأتحدث عن أهم القضايا التي تهم أهل العصر على اختلاف بيئاتهم وبالأسلوب الذى يناسبهم على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة ، وكنت أخصهن بوقت عقب كل محاضرة لأجيب عن أسئلتهن في أحكام الدين وأمور الدنيا ، وكنت لا أدخر جهداً في الإجابة عن أسئلتهن التي تصلني عن طريق الهاتف أو عن طريق المراسلات وغيرها ...

ولكني شعرت أن هذا الجهد متواضع جداً ، وأنه يجب عليّ أن أبذل جهداً أكبر من ذلك حسبة لله تعالى ،فعقدت العزم على تأليف كتاب يجمع أهم القضايا والمسائل التي تحتاج المرأة إلى معرفتها والإلمام بها ، واستخرت الله في ذلك فشرح صدرى وأعانني بقوة من لدنه وأمدني بقبسات من علمه، ونفحات من فضله ، فجاء هذا الكتاب على النحو الذى أرجو أن أكون قد وفقت فيه إلى تحقيق هذا المطلب النفيس.

والله أسأل أن ينفع به من قرأه أو قرئ عليه ، ومن كتبه ، وأسهم في طبعه ونشره ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

د/ محمد بكر إسماعيل